**المحاضرة الخامسة:**

**العصر الهليني:**

**تقدم مقدونيا وظهور شخصية فيليب، الاسكندر الأكبر والتوسع نحو الشرق**

**أولا: الموقع الجغرافي لمقدونيا وخصائصه:**

احتلت مقدونيا المساحة الواقعة بين منطقة البلقان شمالا وبلاد اليونان جنوبا[[1]](#footnote-1). كانت عاصمة مقدونيا القديمة مدينة "أيجاي" (Aegae) وهي عاصمة المملكة المقدونية الأصلية لأنها من ناحية تتوسط الاقليم فضلا على أنها تطل من ربوة عالية على وادي فسيح تتخلله الأنهار والعديد من البحيرات والغابات الكثيفة. وفيما بعد نُقلت العاصمة من قلعة "أيجاي" إلى "اديسا" (Edessa)، ومكانها اليوم مدينة "فودينا" الواقعة على بعد 45 كم ميلا من شمال غرب مدينة "سالونيكا" اليونانية.

ظلت مقدونيا لغزا مغلقا بالنسبة لغالبية الاغريق، إلا أنهم اقتربوا منها في عصر الانتشار والاستيطان عنما أقاموا بعضا من مستوطناتهم بالقرب من شاطئ بحر ايجة وحول خليج سالونيكي ومنطقة خالكيديكي بشعابها الثلاث الغائرة في البحر.

وبإقامة هذه المستوطنات وضع الاغريق أيديهم على المداخل المؤدية لمقدونيا لأنهم أغلقوا الأبواب على المقدونيين وحالوا بينهم وبين الانطلاق عبر آفاق العالم الخارجي والتفاعل بتيارات حضاراته وأبقوهم سجناء معزولين يحيون حياتهم البدائية المتخلفة بين الرعي والصيد والقتال، ولا يعرف الاغريق عنهم سوى أنهم قبائل بدائية شرسة تسكن الغابات الغامضة ويحسن الابتعاد عنهم، بينما بدأ المقدونيون القريبون من المناطق الساحلية في تقبل الحضارة الاغريقية.

اشتهرت مقدونيا بأشجار التين والزيتون وبحقول القمح والشعير والكروم والحدائق، فضلا عن المراعي الشاسعة. وقد ساعدتها الغابات الكثيفة على تصدير الأخشاب اللازمة لبلاد اليونان، ولقد عرف عن مقدونيا شهرتها بتربية الخيول وبصناعة النبيذ، كما أنها كانت تمتلك مناجم غنية بالذهب والفضة.

**ثانيا: السكان واللغة:**

كان المقدونيون شعبا اشقر البشرة، طوال القامة، زرق العيون، تجري في عروقهم دماء أهل شمال أوربا، وقد قيل أن سكان مقدونيا الأصليين جاؤوا اليها من حوض نهر الدانوب، أي أنهم يرتبطون بقرابة مع الاغريق، ولكن الاغريق رفضوا الاعتراف بهذه القرابة لأنهم لم يستسيغوا لغة المقدونيين الغريبة ذات الرطانة البربرية، بالرغم من أنها كانت تنبثق من نفس الجذور التي انبثقت منها اللغة اليونانية، كما ان اللغة المقدونية لم تكن مدعمة بخلفية أدبية وفكرية خلاّقة مثل اللغة اليونانية، مما أضعف موقفها، ولهذا فضّل أمراء القصر والأرستقراطيون المقدونيون تعلم اللغة اليونانية بلهجتها الأتيكية الراقية كجزء من تعليمهم، وكانوا يفضلون الحديث بها فيما بينهم.

**ثالثا: عوامل قيام مملكة مقدونيا:**

كانت مقدونيا مازالت تخضع في نظام حكمها للملكية الوراثية، وهو من الأنظمة التي كانت قد اخذت مكانها في العالم الهليني من أمد بعيد لنظم لحكم الجمهورية والدكتاتورية. ولقد كانت تحد من سلطة ملك مقدونيا، من الناحية القانونية النظرية، بعض القيود الدستورية العرفية، ولكن هذه كانت تتوقف من الناحية العملية على مدى ما كان يتمتع به الملك الجالس على العرش من مقدرة شخصية على أن ينتزع الولاء الذي لم يكن يؤمن له من جانب النبلاء، وعامة الشعب في البلاد الواقعة تحت حكمه المباشر، ومن جانب رؤساء العشائر في الامارات الواقعة في المناطق الجبلية الممتدة جنوبا وغربا وشمالا. ولم تكن هذه الامارات تعترف بسلطانه إلا من الناحية الشكلية الاسمية، فإذا ما قدّر أن يتبوأ العرش ملك وهب حنكة سياسية وسعة حيلة وإرادة حازمة، أولا وقبل كل شيء، ، ففي وسع مقدونيا أن تثبت وجودها برغم تخلفها الاجتماعي والحضاري.

**1-علاقة مملكة مقدونيا بالمدن اليونانية الأخرى:**

ارتبط مصير مقدونيا بالسياسات الدولية السائدة في العام الهليني، فقد تم إنقاذ مقدونيا مرتين كانت قد اوشكت فيهما على الفناء السياسي، بفضل ما اتخذته الدول الهلينية من إجراءات في سبيل تحقيق مصالحها الذاتية، وذلك خلال القرن ونصف القرن الذي انقضى بين شروع الامبراطورية الفارسية في محاولتها ضم بلاد الاغريق الأوربية اليها، وبين تولي فيليب الثاني العرش عام 359 ق.م. فقد كان من المحتمل، مهما بلغ الجهد الذي كان في طاقة الملك الاسكندر الأول أن يبذله بمفرده، أن تدمج مقدونيا إلى الأبد في ولاية فارسية، لو لم تضطر الامبراطورية الفارسية إزاء هزيمة "اكسركسيس" في 480-479 ق.م أمام الحلف الهليني تحت زعامتي كل من اسبرطة واثينا، على التخلي عن جميع ممتلكاتها على الجانب الأوربي من الدردنيل فيم عدا قلعة واحدة هي قلعة "دورسكوس (Dorixus) التي تقع على شاطئ تراقيا.

ومرة خرى في الفترة ما بين 382-379 ق.م عندما كانت مقدونيا تعاني الفوضى والضعف، وذلك فيما بين نهاية عهد "أرخيلاوس" وبداية عهد فيليب الثاني، أنقذها تدخل اسبرطة العسكري من مغبة اندماجها نهائيا في اتحاد فيدرالي كانت تسعى إلى تكوينه المدينة الدولة والمستعمرة الخلكيدونية "أولينثوس" (Olynthus)، ويتألف من المدن الدول الواقعة على امتداد الساحل الشمالي لبحر ايجة.

**2- أهم ملوك مقدونيا وصولا إلى فيليب:**

-الاسكندر الأول، الذي كان يجلس على عرش مقدونيا إبان الغزو الفارسي لأراضي اليونان الواقعة في القارة الأوربية سنة 480-479 ق.م

-برديكاس (Perdiccas)، حكم بين 440 -413 ق.م

- ابنه أرخيلاوس(Archelaus) حكم بين 413-399 ق.م، واللذان استغرق عهدهما المتتاليان فترة الحروب البيلوبونيزية بأكملها. ويتمتع جميعهم بالقدرة والكفاءة.

-فيليب الثاني، حكم بين 359-336 ق.م، وابنه الاسكندر الأكبر اذي حكم بين 336-323 ق.م، واللذان يدخلان في عداد العباقرة.

**3- جهود فيليب في توحيد مملكة مقدونيا:**

كان فيليب الثاني هو أول من تمكن من ملوك مقدونيا من الاستحواذ على مناجم الذهب بجبل بانجوس (Pangaeus)، ورغبة في ضمان بقائها في قبضته، أسس بها مدينة أطلق عليها اسم "فيليبي (Philippi) المشتق من اسمه.

واستخدم فيليب الذهب المستخرج من بانجوس في تكوين القوة العسكرية التي تكفل له اغتنام الفرصة السياسية السانحة في المستقبل. وفي غضون 21 سنة من ارتقائه العرش عام 359 ق.م، كان فيليب الثاني قد ضم إلى المملكة المقدونية جميع المدن الدول الهلينية الواقعة على امتداد الساحل، وقد عمد إلى سحق أقوى هذه المدن وهي أولينثوس (Olynthus) لكي يلقي الرعب في شعوب بقية المدن، ثم وضع تحت حكمه المباشر الامارات المقدونية الجبلية التي كانت تتمتع من قبل بالحكم الذاتي وأخضع معظم القبائل التي كانت تتكلم الاغريقية والقبائل التي كانت تتكلم التراقية في المنطقة الممتدة من شرقي نهر سترايمون حتى المضايق والبحر الأسود والمجرى الأدنى لنهر الدانوب. كما دانت له جميع المدن الدول ببلاد الاغريق الواقعة في القارة الأوربية فيما عدا اسبرطة.

ويعود سر نجاح فيليب الثاني إلى شخصيته التي نالت أعظم التقدير والثناء من جانب عدوه الأثيني اللدود ديموسثينيس (Demosthenes)، من دهاء ونشاط ومثابرة، اضافة إلى حرصه على التشبع بحضارة العلم الهليني الذي استطاع أن يخضع لإرادته. وذلك من خلال اتخاذه بدلا من لهجته المقدونية الوطنية، اللهجة الآتيكية (الأثينية) للغة اليونانية، لتكون لغة رسمية لمحكمته العليا. وكذلك عندما أفاد فيليب الثاني من خدمات الأثينيين بالتبني، وهو الفيلسوف أرسطو ليقوم بتربية ابنه وولي عهده "الاسكندر".

كما قام فيليب الثاني بتزويد المشاة المقدونيين بآخر مستحدثات الأسلحة الأثينية وأحدث التشكيلات العسكرية الطيبية (نسبة إلى مدينة طيبة)، كما أن ذهب بانجوس مكّن فيليب الثاني من إنشاء "سلاح الصفوة" وهو سلاح المكتسين بالدروع الذي يتبع النمط الهليني التقليدي الباهظ التكاليف.

**4-حلف كورنثة ومشروع غزو الشرق (بلاد الفرس):**

لم يكتف فيليب الثاني بالسيطرة على بلاد الاغريق، وإنما وجّه ناظريه نحو الشرق. ففي السنة التالية لتكوين الحلف الاغريقي ( 337 ق.م) يعقد أعضاء هذا الحلف بزعامة فيليب الثاني اجتماعا في كورنثة، يقررون فيه أن يحاربوا الامبراطورية الفارسية (انتقاما لما قام به الفرس ضد أجدادهم على ايام "خشيارشاه" (Xerxes) ، وقد تم انتخاب فيليب الثاني في هذا الاجتماع قائدا أعلى للقوات الاغريقية، وتم الاتفاق على حجم القوات وعدد السفن التي تشترك بها كل مدينة.

استطاع فيليب بذلك أن يخلخل الإطار السياسي والحضاري للعالم الاغريقي، وبدأ محاولته للسيطرة على الشرق، وإن كان موته قد حال دون تحقيق ذلك. وقد خلف الاسكندر أباه فيليب الثاني على عرش مقدونيا، كما خلفه في زعامة الحلف الاغريقي الذي كان أداة لسيطرة مقدونيا على المدن الاغريقية والتدخل في شؤونها، وإن لم يكن كذلك من الناحية الرسمية.

**رابعا: الاسكندر الأكبر (المقدوني) والتوسع نحو الشرق:**

لم يكتف الاسكندر بالزعامة على الدول المدن اليونانية التي ورثها عن والده فيليب الثاني، وإنما نجده يرمي ببصره إلى المنطقة التي حالت الظروف دون امتداد النشاط السياسي والعسكري لفيليب الثاني اليها، وعبر النطاق التقليدي الذي عرفه الاغريق في المجال الدولي منذ أن أصبح لليونان سياسة خارجية دولية في أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد. وهكذا يُقدم، وهو في العشرين من عمره على مغامرة عسكرية قُدّر لها ن تنتهي بسيطرته على المنطقة التي تمتد من الساحل الغربي لآسيا الصغرى غربا حتى شواطئ المحيط الهندي شرقا، والتي كانت تضم أملاك الامبراطورية الفارسية.

**-حملة الإسكندر نحو الشرق:**

يبدأ الاسكندر مغامرته في ربيع 334 ق.م بموقعة نهر جرانيقوس التي تفتح له أبواب آسيا الصغرى، ثم تنهار أمامه المدن الليدية مثل سارديس، والمدن الاغريقية مثل إفسوس، و ميليتوس و هاليكارناسوس، وهو يستمر في بعد ذلك في غزو بقية شبه الجزيرة لتسقط أمامه مدن أقسامها الأخرى، وهي: ليقية، بامفيليه، فريجية، وينهي سيطرته على هذه المنطقة بأن يدحر قوات الملك الفارسي في إسوس (Issos) على حدود سورية في سنة 333 ق.م.

ويستمر الاسكندر الأكبر في طريقه جنوبا فيستولي على مدن فينيقية التي استسلمت جميعها فيما عدا "صور" و"غزة" اللتين كان لابد من أن يأخذهما عنوة، ثم ينحدر إلى مصر التي دخلها في 332 ق.م دون معركة كمحرر لها من النير الفارسي.

وفي 30 سبتمبر من نفس السنة يقضي عل الجيش الثاني للإمبراطور الفارسي في جوجميلة بأعالي نهر دجلة، ويفتح له انتصاره هذا أبواب العواصم الآسيوية الكبرى: صوصة وبرسوبوليس. ويعقب هذا في 330 ق.م بالاستيلاء على عاصمة ميدية والجلوس على عرش فارس، ثم يوسع دائرة فتوحه فيصل إلى شواطئ بحر قزوين وإلى بارتيه ثم إلى باكثرة في 329 ق.م وإل حدود الهند في 327 ق.م، ويعود بعد ذلك إلى بابل حيث يموت في 323 ق.م بعد 11 سنة من حياة المعركة جعلت من صاحب السيطرة على الاغريق سيدا للنصف الشرقي من العالم المعروف.

1. في العصر الحديث نجد مقدونيا القديمة تشكل الحيز اذي تتقاسمه كل من ألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وبلاد اليونان [↑](#footnote-ref-1)